

محاضرات في مادة: قراءة نقدية للمصادر والمراجع

لفائدة طلبة السنة الأولى ( ماستر " أدب عربي قديم ")

عنوان المحاضرة الرابعة: النقد الثقافي

أ. بلقاسم دكدوك

توطئة:

تهدف هذه المحاضرة إلى إقرار حقيقة الحضور القوي، للنقد الثقافي في العالم العربي، وخاصة على يدي الناقد الكبير " عبد الله الغدامي"، الذي جعل النظرية تترك أثرا في التعامل مع الخطابات المختلفة، ضمن مرجعية (المابعد حداثية)، عندما أعلن عن " موت النقد الأدبي"، وإعلان النقد الثقافي بديلا منهجيا عنه، من خلال إيضاح بعض المفاهيم والاسس التي يمكن أن تكون مدخلا إلى النقد الثقافي، وذلك بوضعه جملة من الأسئلة التي يجيب عنه في كتاباته المختلفة:

- لماذا النقد الثقافي؟

- هل هو بديل فعلي عن النقد الأدبي؟

- هل الشعرنة لا السياسة أو السييسنة هي النسق المهيمن؟

- هل هناك ما يعيب النقد الأدبي لكي نبحت له عن بديل؟

- هل إن تسمية النقد الثقافي مجرد تسمية لوظيفة قديمة<sup>1</sup>؟ الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر، دمشق، 2004، ص13.

يجيب " الغدامي" عنها، فيقول: ما زلت أسمع هذه الأسئلة من أناس، هم من أهل الصناعة، والمهنة، يقصد بها مهنة أهل النقد، مما يجعلها أسئلة مصيرية بها تتقرر وجهة المشروع الثقافي وتحديد وظيفته<sup>2</sup>؟ الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر، دمشق، 2004، ص13.

إن هذه الرؤية لدى الغدامي تقوم على تحويل الأداة النقدية لتكون قادرة على استيعاب المهمة الثقافية التي سيقوم بها، وهي " إعادة ترتيب عناصر العملية الأدبية، وتجديد وإضافة إذا لزم الأمر، وهنا يقترح الغدامي أن تشمل عناصر الرسالة الأدبية، المجاز، والتورية الثقافية، ونوع الدلالة، والجملة النوعية، والمؤلف المزدوج"<sup>3</sup> عبد الله إبراهيم، النقد الثقافي " مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق"، مجلة فصول، العدد 63/2004، ص193

يقف النقد الثقافي على أرض مفتوحة ومكشوفة، على الرغم من تعدد المناهج والاتجاهات والمدارس التي تعنى بالنصوص منذ زمن بعيد، وهذا الأمر يشكل -في حد ذاته- إشكالية قد

تصل إلى حد الغموض، لأن هناك من يرى أن هذا النقد يميل إلى التكلف، ومن يرى أنه يهدف إلى البروز على حساب النقد الأدبي. فالنقد الثقافي فيما يعرفه عبد الله الغذامي، فرع من فروع النقد النصي وهذا يجعل منه- من النقد الثقافي- أحد فروع علم اللغة أو أحد حقول الألسنية، لأنه معني بنقد الأنساق المضمره التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بتجلياته كلها وأنماطه وصيغته المتجددة<sup>4</sup>. الغذامي، النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط2001، 2، ص83.

مما يعني أن النقد الثقافي، نفي للنقد الأدبي وإلغاء له. ويمكن أن نشير منذ البداية إلى معرفة الفرق بين القراءة الأدبية والقراءة الثقافية من وجهة نظر محمد عبد المطلب، وفق ما يأتي:

### القراءة الثقافية

### القراءة الأدبية

النقد الثقافي

النقد الأدبي

يعتمد الكفاءة الثقافية

يعتمد الكفاءة اللغوية

تتجاوز أفق الجمال

جمالية

تكاملية

نصية

مفتوح على مناهج متعددة

يتحدد بمنهج محدد ومدرسة محددة

يتبدل بحسب الناقد ومرجعياته

قار إلى حد ما

وطبيعة النص وقضاياها.

إن هناك اختلافا بين القراءة الجمالية التي تنتسب إلى النقد الأدبي، وبين القراءة الثقافية التي تستند إلى رد النص الأدبي إلى الأنساق الثقافية، التي تتدخل في إنتاج الدلالة. فالنقد الثقافي يشكل صورة جديدة تختلف عن الصورة التي يشكلها النقد الأدبي، وذلك بربط النص الأدبي بالمحيط الثقافي، ومعنى ذلك أن يتحول النص الأدبي إلى نص مفتوح على التأويل، معتمدا على مناهج متعددة، كما يمكن أن تتغير معطيات تحليل النص الأدبي وتتباين بحسب الناقد، الذين يمكن أن يقدموا قراءات شتى حسب ثقافتهم وتوجهاتهم، بالرجوع إلى طبيعة النص الأدبي وما يطرحة من قضايا مختلفة.

إن أول من استخدم مصطلح "النقد الثقافي" هو "فنسنت ليتش" الذي أراد به: الإشارة إلى نوع من النقد يتجاوز البنيوية وما بعدها، والحدثة وما بعدها، إلى نقد يستخدم السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية، دون أن يتخلى عن مناهج النقد الأدبي. وهو يقوم على تجاوز الأدب الجمالي، والأدب الرسمي، متجها إلى أي نوع من أنواع الإنتاج الثقافي، وإلى

أي مستوى من مستوياته، ومن ثم فهو نقد لا يغفل الأعمال الهامشية، التي تعرضت عبر التاريخ إلى إنكار قيمتها من طرف النقاد، بحجة أنها لا تخضع لشروط الذوق النقدي.

إن هذه المفارقة ما بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، قد أدى إلى ما يشبه الفصل الطبقي في التعامل مع المؤسسة الأدبية، وما هو من استهلاكات الجماهير المجتمعية، وبين ما هو نخبوي معزول، مما أدى إلى إغفال ما هو مؤثر وفاعل في المجتمع عند عموم الناس، وأصبح النقد منشغلا بالنقد النخبوي الذي يتعالى على ماله أهمية في المجتمع- عند عموم الناس-، وقد أتاح ذلك مجالات أمكنت النقد الثقافي من التحرك فيها، وهي:

- سؤال النسق وهو بديل عن سؤال النص.

-سؤال المضمرة وهو بديل عن سؤال الدال.

-سؤال الاستهلاك الجماهيري وهو بديل عن سؤال النخبة المبدعة.

-ويتوج ذلك سؤال عن حركة التأثير الحقيقية، التي مفادها: هل هي للنص الجمالي المؤسساتاتي، أم لنصوص أخرى لا تعتد بها المؤسسة<sup>5</sup>؟ الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر، دمشق، 2004، ص13.

فالنقد الثقافي يخالف تيارات النقد الأخرى في العودة إلى تأويل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية، ومعنى ذلك أن النقد الثقافي يصبح

متجاوزا مع New hestoricism التي تدعو إلى نقد جديد يتجاوز البنيوية ويعبر منها إلى التاريخانية الجديدة

الحدود بين التاريخ والفن والسياسة والأدب والاقتصاد. فأهداف النقد الثقافي تهدف إلى إلغاء الفارق بين ما هو أدبي وما هو غير أدبي<sup>6</sup>. الغدامي، النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط2، 2001، ص43، 42.

## النقد الثقافي يراجع جملة من الأفكار:

إن بعض الأفكار التي كانت أشبه بـ" الأفكار المؤكدة، أو البديهية أو المسلمات" في النقد الأدبي، أصبحت مثار شك، ومن ذلك فكرة: المحاكاة والتخييل والرمز... وغيرها. لأن النقد الثقافي ينظر إليها على أنها تقوم على تحليل الظاهرة الأدبية المنسوب إلى النقد التقليدي القديم، الذي هو عاجز عن تحليل الظاهرة الثقافية بمفهومها الواسع، إذ إن النقد الثقافي يتعامل مع كل أنواع الخطاب التي لم يتصد لها النقد الأدبي، كما إنه يتعامل مع النصوص التراثية بإعادة قراءتها. إنها وظيفة النقد الثقافي من الناحية النقدية ومن الناحية الإجرائية ومن الناحية المعرفية. يقول عبد الله الغدامي في هذا الصدد: " ليس للمنهجية الإجرائية من

تبرير إلا إذا توفر شرطان، أن تفضي المنهجية إلى نتائج بحثية تختلف عن النتائج المعهودة في المنهجيات الأخرى، والآخر أن تكون هذه النتائج البحثية المعتمدة في تحققها على هذه الإجراءات المنهجية تحديداً، وإذا لم يتحقق هذان الشرطان فإن المنهجية المقترحة حينئذ ستكون مجرد لعبة رياضية ذهنية<sup>7</sup>. الغدامي، النقد الثقافي " رؤية جديدة"، مجاة فصول، العدد 2002/59، ص 48

لقد أحدث النقد الثقافي فكرة جديدة، مفادها تأريخ النصوص وتنصيب التاريخ، أي أن تعامل النصوص كما يعامل التاريخ، أو الجمع بين البعدين الشكلي والتاريخي للنصوص. كما إن هناك من دعا إلى ما يسمى " النقد المدني"، الذي تحدث عنه "إدوارد سعيد" وأراد به نقداً يقع بين مسافتين: النقد التقليدي الذي يسمى "النقد المؤسساتي"، والثقافة التي تتحدى الفعل النقدي.

ويرى إدوارد سعيد أن على الناقد أن يحول التعارض بين النظام، الممثل في النقد التقليدي والثقافة إلى تجانس يخدم الممارسة النقدية عبر استعداد الناقد لمساءلة الخطاب النقدي ذاته، مع انفتاحه على النصوص والكتابات المهمشة وإحضارها إلى المتن الثقافي، وكسر الحدود القومية والعرقية لتحقيق خطاب عالمي إنسان. وفي الوقت نفسه صهر البعدين الجمالي والثقافي في بعد واحد معاً، من حيث أن الثقافي ظرفي في حين أن الجمالي غير ظرفي<sup>8</sup>. الغدامي، النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط 2، 2001، ص 83

إن النقد الثقافي-بهذا المفهوم- يتجراً على الكثير من الفنون الأدبية، ويعيد النظر في الكثير مما كان متعارفاً عليه بين النقاد، إلى درجة المسلمات-كما أسلفنا-، وذلك على أساس علاقتها بالثقافة، بصرف النظر عن رأي النقد الأدبي فيها. لأن هذا النقد -بحسب النقد الثقافي- يعبر عن وجهة نظر شبه رسمية أو مؤسساتية، تقوم على تقديس أنواع من الإنتاج الثقافي، وتهمل أنواعاً أخرى.

إن النقد الثقافي يأتي ليسد حاجات معرفية ونقدية كثيرة، ظلت في طي الإهمال في النقد العربي القديم، ومن ذلك عدم اكتراث النقد القديم بمؤلفات قيمة، من أمثال: ألف ليلة وليلة والسير الشعبية والأحاجي والألغاز والملح والنوادر والأخبار.. فضلاً عن عدم الاكتراث بكثير من جيد الشعر، بحجة أن الرواة والمشتغلين على النقد ينبغي أن يدور حول بعض الشعراء الفحول دون غيرهم، ممن يمكن عدّهم شعراء خصياناً. وقد مكن ذلك من هيمنة مقاييس نقدية ومعايير أخلاقية، كانت نتيجتها انحطاط الشعر والذوق معاً.

يأتي النقد الثقافي ليعيد النظر، لا في النصوص الأدبية فحسب، بل في كل ما يتصل من الأفكار والأحكام والآراء التي أحاطت بالشعر. ومن ثم لا عجب، إن بدا شاعر كأبي الطيب المتنبي -من خلال النقد الثقافي- شحاذاً كبيراً، ومنافقاً خطيراً، بقدر ما هو شاعر فحل، وناظم خنذيذ. وأبو تمام والبحثري لا يقلان خطورة عن المتنبي في هذا الباب<sup>9</sup>. الغدامي، النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط 2، 2001، ص 93.

يتضح أن النقد الثقافي هو أقرب أنواع النقد إلى التفكيكية، من حيث إنه لا يعير اهتماماً لما ألفه النقد من قبول أو رفض، وهو يسعى إلى إعادة النظر في الأشياء قلباً وقالباً، فما كان

ينظر إليه النقد الأدبي على أنه جيد، وأكثر نبلا وسموا، يتحول مع النقد الثقافي إلى شيء وقع عليه التدمير على قاعدة المغايرة والاختلاف.

**ملحوظة:** بإمكان الطالب أن يتعرف إلى سيرة " عبد الله الغذامي " أو بعض النقاد، أمثال: عبد الله إبراهيم، ومحمد عبد المطلب.. وغيرهم ممن كتب في موضوع النقد الثقافي، بالعودة إلى مواقع النت، كما يمكن العودة إلى كتبهم، أو إلى بعض أعداد مجلة "فصول" للإحاطة بالموضوع أكثر.